مجلة المجاهد

العدد : ١٨٧ الموافق في شوال ١٤١٧ هجري ٣ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : مغالطات المنحرفين	بقلم : بـــهاء الدين الأيوبي

أديت صلاة العصر في المسجد مع الجماعة ، ثم خرجت إلى الدار ، وقد شعرت أن نفسي قد اطمأنت ، وصدري رحب ، إذ أزالت العبادة ما كان قد علق في نفسي من شوائب ، ومحت ما أصابها من متاعب أثناء النهار ، ولكن في طريقي إلى مسكني رأيت بعض المظالم والتعديات فجمعتها نفسي ، واحتوتها مشاعري ، فما دخلت البيت حتى شعرت بكآبة وضيق في الصدر ، فعنَّ على بالي أن أخلو بنفسي أتأمل في خلق الله ، وأفكّر في الماضي أستقرئ منه الحاضر.

خرجت من البيت متجهاً نحو جبل الزيتون ، وكان طريقي كأنه تسلل بين قُطاع طرق ، أو تهرب بين لصوص مجرمين ، حتى وصلت إلى هدفي ، وكأني قد تجشمت المخاطر ، واجتزت المفازات. صعدت السفح متعباً ، وارتقيت صخرات هناك ، وقد أُنهكت قواي.

جلست على صخرة واتكأت على أخرى ، وتنفست الصعداء ، وبعد استراحة من الإعياء الذي أصابني من هموم النفس ، وما شاهدته من تعسُّف وتجبر ، ومن ظلم وطغيان من أولئك الدخلاء ، وشذاذ الآفاق ، عبدة المال ، وتجار الجنس ، مسترخصي الأعراض ، وهم يستبدون بالناس الذين حلوا في ديارهم ، واغتصبوا أرضهم ، وهؤلاء المساكين كأنه لا أهل لهم ولا إخوان ، فأرضهم مستباحة ، وبيوتهم منتهبة ، فرَحِمهم قد نسوهم ، وأهلهم قد غفلوا عنهم ، لأنهم شُغلوا بتأمين لقمة العيش التي أفقدهم إياها المسؤولون عنهم ، حيث شغلوا أرضهم الزراعية بملاعب ، ومراكز تدريب ، ومأوى للعسكر الذين همهم الداخل ، ولا علاقة لهم بالثغور ، كما أفسدوا مياه الري بمياه المدن المليئة بالصابون والمواد الكيميائية المميتة للزروع ، أما الأرض البور فلم يستفد منها إذ تركت كما هي ، وهي بالأصل لما استعملت له الأرض الزراعية.

وغفل عنهم الأهل لجهلهم بهم ، إذ لا يعرفون إلا ما يُملى عليهم من قبل أصحاب النفوذ الحقيقيين ، فهم يعلمون عن تاريخ الأعداء وعن بلادهم أكثر مما يعلمون عن الأهل ومواطنهم ، بل يعلمون تاريخ الأعداء مُزيناً بالورود محذوفاً منه السوء ، وتاريخ أمتهم مشوهاً ، ومدوناً بأقلام المستشرقين وحسب وجهات نظرهم الحاقدة.

وغاب عنهم إخوانهم لأن الحماة حصروهم بحواجز من الإسمنت المسلح ضمن الوطنية الضيقة ، والإقليمية المقيتة ، والقومية البغيضة ، وهذه الأنواع من العصبيات المنتنة ، ووقف الحراس على هذه

الحدود المصطنعة يحرسونها ويذودون عنها ، ويدعي سادتهم أنهم يقومون بواجبهم تجاه الثغور ويؤدون واجب الجهاد ، على حين أن الداخل يموج به من ليس منا ، ويعج بأفرادهم خبراء ، وموجهون ومدافعون إن دعت الضرورة - حسب زعمهم - وهم يوجدون الضرورة ، أو يقومون بتمثيليات ليسود الجزع ، وتُدعى الضرورة.

أخذت أسأل نفسي أليس هناك علماء يسدون ما نقص ، ويعوضون ما ضاع ، يملؤون الفراغ ، يبينون الحقيقة ، ويوضحون ما شوّه ، ويشرحون أهداف العدوّ ، والواقع الذي نعيش فيه ؟. وقالت النفس : وهل يترك الحراس الطغاة من يتكلم إلا الذين يريدون ، وهل يريدون إلا من يتقرب إليهم ويقول ما يشاؤون فقط ؟ وهل يتقرب إليهم إلا من يعمل لدنياه فيتزلف لمن بيدهم ما يغري الشيطان به ؟ هؤلاء هم الذين تسمع أصواتهم فيضلون العامة ، ويبتعد عنهم من يعرف الحق ، ومن هو على شيء من العلم.

قلت : وهل هذا دائم ؟ ألا يوجد من باع نفسه في سبيل الله ؟ ألا يوجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ؟ أما هناك من يبين الحق فيلتف حوله أهل الخير فيسيرون على درب الهدى.

أجابت النفس : أجِل الطرف في كل جهة فيها طغيان تجد هذا العنوان : مجتمع ظلم نفسه ، فسلط الله عليه ظالمين ، لا يرعون حق الله { **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** }[الأنعام:١٢٩]. ثم يأتي السُّعاة وراء المصالح ممن يدعي العلم ، فيتكلمون بما يريد الحراس ، ويحرفون الكلم بعد مواضعه ، ويقولون هذا هو الحق لا سواه ، إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا. فيضلون بانحرافهم ويُضلون.

وتابعت النفس قائلة : سجّلْ للعبرة والتاريخ : كان تيمورلنك مسجلاً في عداد المسلمين ، ويظهر في المناسبات بالمسجد يؤدي الصلاة ، فعُرف بهذا ، وخاصة من قبل من لا يعرف الفِرقَ والانحراف والباطنية ، غير أن أعمال تيمورلنك كانت تبعده عن الإسلام لدرجة لا يراه الباحث بين من عُد منهم ، حيث إن جرائمه ووحشيته واغتصابه للنساء وحقده على المسلمين ، لتجعله من فئة أخرى.

أسر تيمورلنك في معركة مع العثمانيين سلطانهم بايزيد ، فحمله معه مكبلاً ذليلاً ، وذات يوم أظهر أنه يريد العفو عنه ، وإعادته لدياره بل وإكرامه. وأبلغ السلطان بايزيد بيوم الإكرام ، واجتمع الناس ، وحضر سادة القوم ، وبدأ الحفل ، وما يشعر السلطان بايزيد إلا ونساءه يدفعن عاريات تماماً إلى وسط الجمع ليقدمن الشراب ، وليس على واحدة منهن قطعة تستر السوأة. فيا للعجب من فحشٍ مثل هذا يصدر من رجل يدعي الإسلام ، ويالهول ذلك من جريمة ووحشية. فأغمي على السلطان ، وكاد يفارق

الحياة ألماً ساعتذاك.

دخل تيمورلنك دمشق ، وارتكب فيها أبشع الجرائم كبقية المدن التي دخلها في الشام وغيرها ، وإن كانت وحشيته وهمجيته قد ظهرت في حلب أكثر من غيرها ، وزاد على ذلك في دمشق إذ أوغل في الدماء ، وولغ في الأعراض بشكل لم يعرف التاريخ أكثر من ذلك بشاعة.

فلما تمكن تيمورلنك من دمشق ، وفرض سلطانه ، وخافه الناس أسرع إليه أصحاب المصالح ، والمنتفعون ، والذين لم يُفسح لهم المجال في الماضي للظهور بسبب كثرة المتقدمين عليهم علماً ، وأصحاب الكفاءات ، ورجال الإمكانات والطاقات ، وأهل الخير ، وهؤلاء لا يتركون مكاناً للمتزلفين والذين يريدون الارتقاء بالتملق والنفاق. فلما جاء تيمورلنك وانزوى أهل الخير ممن بقي حياً ، وابتعد رجال العلم ممن ظل خارج السجن ، وغاب عن الساحة الذين يخشون الله ، ويخافون أن يكونوا سنداً للطاغوت ، انزوى هؤلاء وابتعد أولئك لما رأوا في تيمورلنك من بعد عن الدين ، وانصراف عن الحق ، وما فيه من حقد على المسلمين الملتزمين ، وعطف على أتباع الفرق الضالة وأهل الكتاب ، ومن اتباعه للجور وقيامه بالظلم.

ومع الضغط على أهل الحق وملاحقة رجال العلم ، فُتح الباب أمام المنحرفين فجاؤوا يُهرعون إليه من كل جانب ، يريدون أن يجمعوا من المنافع ، ويحصلوا على المراكز ، ويتربعوا في المجالس التي كانوا يتمنونها ، وفسح تيمورلنك لهم المجال ليمتطيهم إلى المحافل ، وليتخذهم وسيلة لإثبات شرعية حكمه ، وبسط نفوذه ، وليقاتل بهم العلماء ، وليحارب بهم الذين يقولون الحق ، وبرز هؤلاء أنهم يبذلون العلم ، ويتكلمون باسم الدين ، والله يعلم إنهم لكاذبون ، وهم يعرفون ذلك ، ولكن يغالطون على الناس ، ويفترون الكذب ، وهم يعلمون.

لما كان أهل الكتاب ، وأتباع الفِرق الضالة قد دعموا تيمورلنك وأيدوه ، وهو قد قربهم وجعل منهم بطانة ، وأمنهم بل أراد أن يسير خطوات أوسع من ذلك ، في رفع مكانتهم والاعتراف بأجزاء لهم من بلاد الشام ، ومن هنا أخذ المهرولون للمنفعة ، المسرعون نحو الشهرة يُبررون لتيمورلنك عمله ، ويدعون للسير على خطاه ، ويُغالطون في أقوالهم ، ويموهون على الناس ، ولما كان المجتمع مسلماً وذا عاطفة إسلامية نرى بعض المغالطين يقولون « إن الرئيس تيمورلنك مسلم واع ، وإن كانت من دعوة للإسلام في هذا العصر فلن تكون إلا بمنهجه وعلى طريقته ». ويقول عن المجتمع الذي نشأ في المدينة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إليها : « فقد تألف من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة ، ومن الأنصار الذين استقبلوهم فيها ، ومن اليهود الذين قرروا أن يعايشوا المسلمين في أمن وسلام ، مجتمع متماسك يضبطه دستور ونظام دولة ، ويرعاه مسؤول عن حماية هذا المجتمع ونظامه.

أما المجتمع فيتمثل في ذلك الجمع من الناس : المهاجرين والأنصار واليهود ، الذين اجتمعوا وقرروا التعايش في سلام ، في المدينة ».

أي مغالطة أكبر من هذه ، وأي افتراء أعظم من هذا !!! أي مجتمع متماسك هذا وفيه يهود !!! لقد ظهرت فتن يهود باستمرار ، وبدت خيانتهم في كل حين ، وهذا ما جعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقاتلهم ، ويخرجهم من المدينة ، ثم يلاحقهم إلى خيبر ، وفدَك ، ووادي القرى. وكان من آخر كلامه صلى الله عليه وسلم (**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**) وبناء على ذلك أخرج عمر ، رضي الله عنه ، يهود خيبر ، ونصارى نجران.

ولم يغالط رجلُ تيمورلنك إلا لأن سيده كان يعمل على مصالحة يهود.

لقد كانت مؤاخاة بين المسلمين من مهاجرين وأنصار ، وموادعة ليهود ، وتعني الموادعة مهادنة يهود في هذه المرحلة ما وفوا. وأي وفاء ، وشيمتهم الغدر والخيانة وهذا ما ثبت من علاقتهم مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم. وهو ما تحدث عنه القرآن الكريم.

وقد ذكر رجلُ تيمورلنك بعض بنود الوثيقة حتى تظهر مغالطته ، فنقل : (المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحقهم أمة واحدة واحدة من دون الناس). فأين يهود ؟. وربما جعل تيمورلنك يهود جزءاً من أمته كما جعله سيده.

إن يهود لم ولن يشكلوا مجتمعاً متماسكاً مع المسلمين في يوم من الأيام ، بل ولا مع أي فئة أخرى من غير ملتهم.

إن أخلاق يهود مع المسلمين معروفة على مدى التاريخ ، وقد تحدث عنها القرآن الكريم وبين صفاتهم. فلا ندري لماذا يغالط بها أدعياء العلوم الإسلامية ؟.

{ أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون * ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون } [البقرة:١٠٠-١٠١] . { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون * وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين } [الأنفال:٥٥-٥٩].